الجزءان الثاني والثالث
المجلد الثالث والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي

رجب ١٤٠٢ هـ
نيسان ١٩٨٢ م

اجتماع إنْ واللام في لغة القرآن

الدكتور
حسام سعيد النعيمي
كلية الآداب – جامعة بغداد

القرآن الكريم كلام الله سبحانه ، أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين ، أعجز فصحاء العرب وبلغاءهم عن أن يأتوا بسورة من مثله . فأسلوبه أعلى اساليب العربية ، وبيانه اسمى بيان فيها . ومن ثم كانت دراسة أية جزئية . من جزئيات لغته كشفاً عن اسلوب في العربية هو الغاية من بين أساليبها في تلك الجزئية ، وكان القياس على اية عبارة وردت فيها ادراكاً لاسلوب عربي بليغ لا يختار عليه ، كيف والله تعالى يقول : (وكذلك انزلناه قرآناً عربياً) (طه : ١١٣) ويقول : (نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين) (الشعراء : ١٩٥) ولقد وقفت يوماً عند قوله تعالى في سورة ابراهيم الآية ٤٦ « وقد مكروا مكرَهم وعندالله مكرُهم.وإن كان مكرُهم لِتزولَ منه الجبال » أتأمل كسر اللام في لِتزول مع إنّ ، ورجعت الى كتب النحو والتفسير والقراءات ، فوجدت للعلماء اكثر من رأي في إنْ واللام ، وفي الآية اكثر من قراءة ، فجمعت ذلك كله وبوّبته ونسقته فكان منه هذا البحث .

إنِ المخففة

وردت لإنْ في القرآن الكريم معان عدة بحسب استعمالها في الآيات التي جاءت فيها فمن ذلك انها تكون مخففة من الثقيلة بان تحذف النون الثانية من إنّ

وهذا الحذف للتخفيف ، كما هو واضح من تسميتها المخففة من الثقيلة ، اما معناها فهو التوكيد كالثقيلة ، وان كانت المثقلة اقوى في التوكيد من المخففة إذ كما ان زيادة المبنى زيادة في المعنى [1] يكون نقصان البناء نقصاناً في المعنى.

وتجيء اللام مع المثقلة كثيراً في القرآن الكريم . وقد أحصينا ما أورده الاستاذ عضيمة لاستعمال خبر إنّ المفرد في القرآن الكريم فوجدناه جاء مفرداً في اربعة وثمانين وستمائة موضع ، اتصلت به اللام في خمسين ومائة موضع ، ومعنى ذلك أن آية من كل اربع آيات تقريباً جاءت باللام ، وليس من شك في ان الربع ليس قليلاً .

وفائدة هذه اللام مع إنّ زيادة التوكيد في الجملة ، فإنّ للتوكيد واللام للتوكيد ، [2] فإذا خففت إنّ بحذف نونها الثانية . بقي فيها معنى التوكيد على ما ذكرنا ، ولزمتها اللام ، وقد ذكر العلماء انها تلزمها للفرق بينها وبين إنِ النافية ، وفي ذلك تفصيل :

عملها ومعناها

معنى إنّ التوكيد فهي بمعنى الفعل اؤكد ، وقد ذكر العلماء انها عملت عمل الفعل من النصب والرفع (لانها اشبهته لفظاً ومعنى ووجه المشابهة بينهما من خمسة اوجه ، الاول انها على وزن الفعل والثاني انها مبنية على الفتح ...) [3] . وكأن العرب نظروا الى انها فرع على الفعل في العمل بهذا الشبه فالزموها الصورة الفرعية في عمل الفعل ، اذ الاصل في الافعال ان يتقدم المرفوع على المنصوب ، فالزمت هذه تقديم المنصوب على المرفوع اشعاراً بفرعيتها [4] .

(١) الخصائص لابن جني تحقيق محمد علي النجار ط دار الكتب ١٣٧٦ هـ/١٩٥٦ م ج ٣ ص٥٦٦

(٢) الكتاب لسيبويه ط مصورة بالاوفست عن ط بولاق ط ١ ١٣١٦ هـ ج ١ ص ٤٧٣

(٣) الانصاف في سبيل مسائل الخلاف لابن الانباري تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط ٣ مطبعة السعادة بمصر ص ١٠٤

(٤) نفسه ص ١٠٥

وحينما خففت وآلت الى إنْ ذهب الكوفيون الى أنها فقدت الشبه اللفظي بالفعل فلم تعد على ثلاثة احرف كما لم يعد آخرها يشبه الفعل الماضي ولذا اهملت العرب ، اعمالها عمل الفعل في جل كلامها ،وخالفهم البصريون وذهبوا الى أنها تعمل مع تخفيفها (٥) .

هكذا قال اهل التعليل النحوي ، وهو تعليل قائم على النظر والمنطق ، نشك كثيراً ان يكون العرب قد لحظوه وهم يتحدثون ، اذ اللغة ظاهرة اجتماعية اكثر منها طريقة رياضية منطقية . وسواء اكان هذا التصرف مقصوداً بالطريقة التي ذكرها اهل التعليل ام جاء عفو الخاطر من غير تصميم سابق فان واقع اللغة ان هذا الصوت (إنّ) حينما خفف فصار (إنْ) تغيرت صوره الكلام بعده ، فالاسم الذي كان منصوباً صار مرفوعا ، واللام التي رأيناها بنسبة واحد الى اربعة في كتاب الله تعالى مع الخبر المفرد ، رأيناها تلازم الخبر فلا تنفك عنه ، على ان لهذه اللام حديثا سنأتي اليه فيما بعد .

ولكن هل عدم العلماء نصا لعربي جاء بإنْ مخففة من غير ان يؤثر ذلك على نصب الاسم بعدها ؟ وهل عدموا نصاً جاءت فيه إنْ مخففة والاسم بعدها مرفوعاً وقد خلا الخبر من اللام ؟ اما في لغة القرآن الكريم فلم تأت إن المخففة ناصبة للاسم بعدها او خالية من اللام في أية آية من آياته على القراءة المشهورة المتداولة . واما في غير ذلك فقد حكى العلماء اعمالها مخففة في قراءة للآية الكريمة « وإنْ كلاً لمّا ليوفّينهم ربّك أعمالهم » (سورة هود الآية ١١١) اذ (قرأ الحرميان وأبو بكر وإنْ كلاً بتخفيف النون ساكنة) (٦) ، وذكر سيبويه انه سُمع من العرب من يقول : انْ عمراً لمنطلق قال : (وحدثنا من نثق به انه سمع من العرب من يقول انْ عمراً لمنطلق ، وأهل المدينة يقرأون « وإنْ كلا لمّا ليوفينهم

(٥) انظر تفضيل ذلك في الانصاف ص ١١١ ومابعدها .

(٦) البحر المحيط لابي حيان مصورة بالاوفست عن ط الرياض ج ٥ ص ٢٦٦

ربك اعمالهم » يخففون وينصبون) [٧] وقد علل سيبويه هذا الإعمال بان الفعل حين يحذف منه شيْ لا يغير عمله فكذلك ما كان بمنزلة الفعل ونص على ان اكثر العرب على الاهمال كما فعلوا بها حين ادخلوا عليها ما ، قال : (وذلك لان الحرف بمنزلة الفعل فلما حذف من نفسه شيْ لم يغير عمله ، كما لم يغير عمل لم يكُ ولم أُبَلْ حين حذف . وأما اكثرهم فادخلوها في حروف الابتداء بالحذف، كما ادخلوها في حروف الابتداء حين ضموا اليها ما) [٧] .

وقال المرادي بعد ان ذكر قراءة الآية الكريمة « وان كلاً . . . » (وهذه القراءة ونقل سيبويه حجة على من انكر الإعمال) [٨] . على انه قال (فيها بعد التخفيف لغتان الإهمال والاعمال ، والإهمال أشهر) [٨] : وقال ابن عقيل : (حكى الإعمال سيبويه والاخفش) [٩] .

فقد حكى العلماء إعمالها مخففة ، كما حكوا اهمالها وخلو الخبر بعدها من اللام اذا ظهر المقصود ولم تلتبس بالنافية ولكنهم ذكروا ان ذلك قليل . والزموا المتكلم اذا اراد ان يكون كلامه موافقاً لكلام العرب ان يهمل إنْ المخففة وان يلزم خبرها اللام . وقد ذكروا تعلياهم اهمالها بعد التخفيف ، اما لزوم اللام فقد عللوه بمنع اللبس قالوا وتلزمها اللام فارقة بينها وبين إن النافية ، فلو قلت إن زيد مسافر كان المعنى نفي السفر عن زيد ، اما اذا جئت باللام فقلت إن زيد لمسافر فإن المعنى سيكون اثبات السفر لزيد مع التأكيد ، ومن اجل ذلك قالوا اذا جاءت عاملة لم تلزمها اللام [٩] لانها لا تلتبس والحالة هذه بالنافية لان النافية لا تعمل النصب ، ومثلوا لذلك بقولهم : إنْ زيداً قائم .

(٧) الكتاب ١ : ٢٨٣

(٨) الجنى الداني في حروف المعاني لحسن بن قاسم المرادي تحقيق طه محسن ط الموصل ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ص ٢٨٨

(٩) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط ١٤ مطبعة السعادة بمصر ط ص ٣٧٨ .

واذا امتنعت النافية لقرينة لم تكن اللام لازمة ايضاً ، من ذلك [١٠] قول الطرماح :

ونحن اباة الضيم من آل مالك وانْ مالكٌ كانت كرام المعادن

اذ لا يتصور ان يفخر الانسان بقومه ثم ينفي عنهم كرم المعدن .

حقيقة اللام :

اثير سؤال حول هذه اللام أهي لام الابتداء التي تأتي مع إنّ فترحلق الى الخبر اقرت مع إنِ المخففة ام هي لام اخرى اجتلبت للفرق ؟

وقد ذكر ابن يعيش ان النحويين يسمون هذه اللام الفارقة ، لام الفصل ، وذلك انها تفصل بين المخففة من الثقيلة وبين النافية ، وقد اختلفوا في هذه اللام.. [١١] ومعنى ذلك انهم وان اختلفوا في حقيقتها فإنهم لم يختلفوا في اسمها وفائدتها فهي اللام الفارقة او الفاصلة ، سميت بذلك لانها تفرق او تفصل بين ارادة المخففة من الثقيلة وبين التي تكون للنفي كما في قوله تعالى « إن انت الا نذير » فالاختلاف فيها اختلاف في الصناعة ، وليس اختلافاً في اللغة ، وقد اورد أدلة كل فريق ولم يرجح بينهما ، قال : (وقد اختلفوا في هذه اللام فذهب قوم الى انها اللام التي تدخل في خبر إنّ المقررة للتأكيد الا انها اذا كانت مستردة فانت في إدخالها وتركها مخيّر تقول في ذلك : إنْ زيداً قائم فإن شئت إنّ زيداً لقائم ، فإن خففت إنْ لزمت اللام وذلك قولك : إنْ زيد لقائم ، ألزموها اللام ايذاناً منها بأنها المشددة التي من شأنها ان تدخل معها اللام وليست النافية التي بمعنى ما . . ودخلت اللام لما ذكرناه من التأكيد ، ولزمت للفرق بينها وبين النافية . . وذهب قوم آخرون الى أن هذه اللام ليست التي تدخل إن المشددة التي هي للابتداء لان تلك كان حكمها ان تدخل على اسم فأخرت الى الخبر لئلا يجتمع تأكيدان وساغ ذلك من حيث كان الخبر هو المبتدأ في المعنى أو ما هو واقع موقعه ، وهذه اللام لا تدخل الا على المبتدأ وعلى خبر إن اذْ كان اياه في المعنى أو متعلقاً به ، ولا

(١٠) نفسه ١ : ٣٧٩

تدخل من الفعل الا على ما كان مضارعاً واقعاً في خبر إن وكان فعلاً للحال واذ لم تدخل الا على ما ذكرناه لم يجز ان تكون اللام التي تصحب إن الخفيفة اياها ، اذ لا يجوز دخول لام الابتداء على الفعل الماضي ، وقد وقع بعد إنْ هذه الفعل الماضي نحو « إن كاد ليضلنا » ، « وإنْ وجدنا اكثرهم لفاسقين » . وأيضاً فإن لام الابتداء تعلق العامل عن عمله ، فلا يعمل ما قبلها فيما بعدها نحو قولك أعامُ لزيدٌ منطلق وقوله : « والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون » وقد تجاوزت الافعال الى ما بعد هذه اللام فعملت فيها نحو : « إنْ كنا عن دراستهم لغافلين » . . . وليست هي ايضاً التي تدخل على الفعل المستقبل والماضي للقسم نحو ليفعلَنّ ولَفعلَ واو كانت تلك لازم الفعل الذي تدخل عليه اذا كان مضارعاً احدى النونين فلما لم تلزم علم انها ليست اياها، قال الله تعالى : « ان كاد ليضلنا » و « ان كانوا ليقولون » فلم تلزم النون)[11].

ويرى جمهور الكوفيين[12] ان هذه اللام بمعنى الا هنا وان إنْ ليست مخففة من الثقيلة بل هي نافية وتكون الجملة جملة حصر ، ففي قوله تعالى مثلاً : « وان وجدنا اكثرهم لفاسقين يكون المعنى على رأيهم : وما وجدنا اكثرهم الا فاسقين ، وهكذا في قوله : « وان كانت لكبيرة » اي وما كانت الا كبيرة ، وفي قوله تعالى : « وان نظنك لمن الكاذبين » اي : وما نظنك الا من الكاذبين . وهذا القول وان بدا في ظاهره بما قدم من شواهد مستقيماً الا اننا لا نميل اليه لما يأتي :

١ — في القرآن الكريم آيات جاءت فيها الا مع إنْ كقوله تعالى : « ان كانت الا صيحة واحدة فإذا هم خامدون » ، وقوله تعالى : « إن انا الا نذير » وقوله سبحانه :. (إنْ نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) ولم يوضح لنا القائلون بان اللام التي مع إنْ بمعنى الا النكتة البلاغية التي من اجلها تحول اسلوب القرآن

(١١) شرح المفصل لابن يعيش نسخة مصورة بالاوفست عن ط مصر ط ٩ ص ٢٦ — ٢٧
(١٢) انظر الانصاف ص ٣٣٦ — ٣٣٧ المسالة (٩٠)

الكريم عن الا التي استخدمها مع إن النافية الى اللام التي زعموا انها بمعناها ، ولم نهتد نحن لشي من ذلك ، فلا موجب لصرف اللام عن معناها الى معنى إلا . اما قوله :

أمسى أبان ذليلا بعد عزته وما أبان لمن اعلاج سودان

وفيه اللام بمعنى الا وهو ما استدل به الكوفيون كما ذكر في المغني [١٣] فالضرورة واضحة فيه والشعر مطية الضرورات ، ولا مجال للضرورات في كتاب الله تعالى . والقرآن يتخير له ولا يتخير عليه كما قال ابن جني [١٤] .

٢ــ اذا استقام التأويل في الآيات التي أوردوها ، فإن جعل اللام بمعنى الا في مواضع اخرى لا يكون الا بتكلف ، من ذلك مثلاً قوله تعالى : « وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم » وقوله تعالى : « تالله إن كدت لتردين » الى غير ذلك من الآيات التي دخلت فيها اللام على الفعل ، اذ من الواضح ان معنى الحصر ليس مراداً ، بل المراد التوكيد ، ففي قوله تعالى : « وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجونك منها » لو قلنا إن المعنى التأكيد على انهم كادوا يستفزونك كان أشبه من القول بأنهم ما كادوا الا يستفزونك ، اذ معنى الحصر مقحم في هذا اقحاماً ، ولو قلنا ان معنى الآية : لقد كادوا يستفزونك من الارض . . . لكان مستقيماً بما في اللام وقد من معنى التأكيد ، وكأنه تعويض عن التأكيد بإنْ واللام ، وهكذا في قوله تعالى: « وإنْ كانوا ليقولون لو أن عندنا . . .) المعنى لقد كانوا يقولون . . وهو اوفق من قولهم : ما كانوا الا يقولون لو ان عندنا . .

٣ــ ومما ينفي ان تكون اللام بمعنى الا ما ذكره ابن الانباري في الانصاف حيث قال : (قلنا إن اللام لام التأكيد لأن لها ايضاً نظيراً في كلام العرب وكون اللام للتأكيد في كلامهم مما لا ينكر لكثرته ، فحكمنا على اللام بما له نظير

(١٣) مغني اللبيب لابن هشام الانصاري ط عيس الحلبي ج ١ ص ١٩١
(١٤) المحتسب ١ / ٥٣

في كلامهم ، فأما كون اللام بمعنى الا فهو شيْ ليس له نظير في كلامهم ، والمصير الى ما له نظير في كلامهم اولى من المصير الى ما ليس له نظير . . .)[١٥].

وقد يقال : اذا كانت إنْ مخففة من الثقيلة ففيها معنى التوكيد ، وكذلك التوكيد في اللام ، فعلام إذن كان التخفيف ما دام التوكيد مراداً ؟ والجواب عن ذلك ان يقال : ان العرب قد تخفف اللفظ وتريد المعنى الاول ، الا يرى ان عندهم نون التوكيد الخفيفة كما عندهم نون التوكيد الثقيلة قال تعالى : « ليُسجَنَنَّ وليكونَنْ من الصاغرين » فجاءت النون في الاولى ثقيلة وفي الثانية خفيفة وكلتاهما للتوكيد .

مذهب الكسائي :

ذكر الرضي ان الكسائي يقول[١٦] بتخفيف إنْ من الثقيلة اذا كانت مع اللام في الاسماء وهو بهذا ينفرد عن الكوفيين اما في الافعال فمذهبه كمذهبهم قال : (وفرّق الكسائي بين إن مع اللام في الاسماء وبينها معها في الافعال ، فجعلها في الاسماء المخففة ، واما في الافعال فقال إن ناقية واللام بمعنى الا) وقد عال ذلك بان دخولها على الاسم يجعل القول بالتخفيف اولى لأن الاصل في المشددة ان تدخل على الاسماء ، واما دخولها على الفعل فيجعل القول بانها نافية أولى لان الاصل في النفي ان يباشر الافعال قال : (لان المخففة بالاسم اولى نظراً الى أصلها، والنافية بالفعل أولى لان معنى النفي راجع الى الفعل . وغيره من الكوفيين قالوا انها نافية مطلقاً دخلت في الفعل او في الاسم واللام بمعنى إلا) .

مذهب الفرّاء :

للفراء مذهب في اللام الواقعة في خبر إنّ المشددة على ما اورده الزجاجي في

(١٥) الانصاف ص ٣٣٦ – ٣٣٧

(١٦) شرح الكافية للرضي الاستربادي ط ١٢٧٥ هـ ج ٢ ص ٣٣٤

كتاب اللامات [١٧] وقد نسبه المرادي والسيوطي لثعلب [١٨] ، فهو يرى انها ليست لام الابتداء وانما هي لام جيء بها في مقابل الباء في قولهم ما زيد بمنطلق قال : (وقال الفراء هذا كلام يقع جواباً تحقيقاً بعد نفي ، كأن قائلاً قال : ما زيد قائم فقلت إنّ زيداً قائم ، فأدخلت إنّ في كلامك تحقيقاً بازاء ما النافية في كلامه . فإن قال : ما زيد بقائم ، قلت : إنّ زيداً لقائم ، فجعلت إنّ بازاء ما ، واللام بإزاء الباء . .) [١٩]

ويمكن ان نفيد هنا من رأي الفراء فنقول : اذا اردت ان تخبر عن سفر زيد مثلا فأمامك هذه الجمل : سافر زيد ، يسافر زيد ، زيد سافر ، زيد يسافر . زيد مسافر ، إنّ زيداً مسافر ، إنّ زيداً لمسافر ، إنْ زيدٌ لمسافر .

فالجمل الاربع الأُوَل تقال لمخبَر خالي الذهن يراد له ان يعلم سفر زيد في الماضي او في الحاضر بحسب الفعل المستعمل ، واما التقديم والتأخير فمرده الى عناية المتكلم بالذات أو بالمعنى . أو علمه بعناية السامع بأحدهما . ولا يعنينا هنا الخلاف بين العلماء في اسمية الجملة او فعليتها اذا قلنا زيد مسافر أو زيد يسافر ، لان العناية بالمتقدم في مثل هذا أوضح من قصد التوكيد باسمية الجملة ، على ان ذلك موضع خلاف بين العلماء . والجملة الخامسة كأنها جواب سؤال في ذهن السامع فأريد توكيده بالجملة الاسمية فقولنا زيد مسافر جواب أزيد مسافر ، والجملة السادسة تأتي لازالة شك في ذهن السامع يعبر عنه بما زيد مسافراً فيقال : انّ زيداً مسافر ، والسابعة تقابل ما زيد بمسافر فيقال : إنّ زيداً لمسافر. وهاتان هما اللتان اشار اليهما الفراء ، ونزيد على ذلك ان نقول : يمكن ان يعد على هذا قولنا : إنْ زيدٌ لمسافر ، جواباً لليس زيد بمسافر ، على رأي الجمهور القائلين

(١٧) كتاب اللامات لابي القاسم الزجاجي تحقيق د . مازن المبارك ط دمشق ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م ص ٦٠ .

(١٨) انظر الجنى الداني ص ١٦٦ وهمع الهوامع للسيوطي صورته بالاوفست دار المعرفة – بيروت ج ١ ص ١٤٠

(١٩) اللامات ص ٦٠

بفعلية ليس ، ويكون تخفيف إنّ مراداً به مقابلة الجملة الفعلية . التي هي أقل توكيداً من الجملة الاسمية ، واللام مؤكدة مع إنْ لأنها جاءت بإزاء الباء في خبر ليس وما ، والباء تزاد فيهما للتوكيد [٢٠] كما هو معاوم .

وقد ذكر المرادي ان علماء المعاني يقولون (اذا القيت الجملة الى من هو خالي الذهن استغنى عن مؤكدات الحكم فيقال زيد ذاهب ، ويسمى هذا النوع من الخبر ابتدائياً ، واذا القيت الى طالب لها متردد في الحكم حسن تقوية الجملة بمؤكد وذلك بإدخال إنّ نحو إنّ زيداً ذاهب ، او اللام نحو : لزيد ذاهب ، ويسمى هذا النوع طلبياً ، واذا القيت الى منكر للحكم وجب توكيدها بحسب الافكار فتقول : إني صادق ، لمن ينكر صدقك ولا يبالغ فيه ، وإني لصادق . لمن يبالغ في انكاره ، ويسمى هذا النوع انكارياً . . . ويؤيد ذلك جواب ابي العباس للكندي عن قوله : إني أجد في كلام العرب حشواً ، يقولون : عبدالله قائم ، ثم يقولون : إن عبدالله قائم ، ثم يقولون : إن عبدالله لقائم ، والمعنى واحد ، فقال : بل المعاني مختلفة ، فعبدالله قائم ، اخبار عن قيامه ، وإنّ عبدالله قائم جواب عن سؤال سائل ، وإن عبدالله لقائم جواب عن انكار منكر قيامه) [٢١] . وهكذا نقول في إنْ زيد لقائم كما تقدم .

وما دامت هذه اللام للتوكيد لانها جاءت في مقابل الباء الزائدة في خبر ليس وهي للتوكيد ، ولام الابتداء للتوكيد فهما اذن بمعنى واحد .

وقد ذكر ابن عقيل ان فائدة الخلاف تظهر في حركة همزة إنْ بناء على تعليق الفعل أو عدمه في قوله صلى الله عليه وسلم : قد علمنا إن كنت لمؤمنا (فمن جعلها لام الابتداء أوجب كسر إنْ ، ومن جعلها لاما اخرى اجتلبت للفرق فتح أنْ ، [٢٢] وسنعرض ذلك في كلامنا على مذهب الفارسي .

---

(٢٠) الانصاف ص ٩٨

(٢١) الجنى الداني ص ١٦٦ – ١٦٧

(٢٢) شرح ابن عقيل ١ ؛ ٣٨٠

رأي الفارسي :

ناقش ابو علي الفارسي مسألة اللام الواقعة بعد إن المخففة في كتاب البغداديات مفصلاً ، فذكر القول بانها التي تدخل على خبر إنّ المثقلة ، ونقضه ، وذكر القول بانها اللام التي تأتي مع القسم في مثل والله لَيفعلنّ ،ونقضه ، وانتهى الى أن قال : (فقد ثبت بما ذكرنا ان هذه اللام الداخلة علىخبر إنالمخففة ليست التي تدخل في إنّ المشددة ، ولا هي التي تدخل على الفعل المستقبل والماضي في القسم ، لكنها تلزم إن هذه لتفصل بينها وبين التي بمعنى (ما)النافية)[٢٣] .
وقد بنى على ذلك انك (لو أدخلت شيئاً منالافعالالمعلقة على إن المكسورة المخففةمن الثقيلة وقد نصبت بها واللام في خبرها لم تعاق الفعل قبلها منأجل اللام كما تعلقه مع لامالابتداء لأن هذه اللام قد ثبت انها ليست تلك ،فإذا لم تكن تلك لم تعلق الفعل الملغى كما تعلقه لام الابتداء . فهذه حقيقةإن هذه المخففة واللام التي تلحق معها عندي)[٢٣] .

اما نقضه ان تكون اللام هي نفسها اللام التي مع إنّ فقد بناه على ما يأتي : اللام التي مع إنّ لام الابتداء التي تختص بالدخول على الاسماء وما قرب شبهه بها من الافعال وهو الفعل المضارع . والاصل فيها ان تقع في اول الكلام والدليل على ذلك أنها تعلق الفعل قبل إنّ كما تعلقه قبل المبتدأ (وذلك في مثل : علمت إنّ زيداً لينطلق ، كما تقول : علمت لعمرو منطلق ، فكما علق الفعل الذي يلغى اذا دخل على المبتدأ كذلك علقه إذْ أدخلت في خبر إنْ ، أواسمها اذ فصل بينهما بظرف ، فهذا يدل على ان هذه اللام هي التي دخلت على الاسم المبتدأ وانها انما دخلت على هذه الافعال لمشابهتها الاسماء ، ودخلت علىالخبر من حيث كانت تدخل على المبتدأ اذ كان يؤول في المعنى الى انه هو هو . .)[٢٤]

(٢٣) البغداديات لابي علي الفارسي تحقيق صلاح الدين السنكاوي عل الآلة الكاتبة – مكتبة الجامعة المستنصرية ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ص ٨٥
(٢٤) نفسه ص ٢٤

(ومعلوم أن لام الابتداء التي تدخل في خبر إنْ الشديدة لا يعمل الفعل الذي قبلها فيما بعدها)[٢٥] .

أما هذه اللام فقد عمل ما قبلها فيما بعدها (وذلك قوله : «وإنْ كنا عن عبادتكم لغافلين » وقول القائل :

هبلتك املك إنْ قتلت لفارساً حلت عليك عقوبة المتعمد

فلما عمل الفعل فيما بعد هذه اللام علم من ذلك انها ليست التي تدخل في خبر إنّ الشديدة) [٢٦] . كذلك لا تدخل لام الابتداء (على الفضلات وما ليس بالكلام افتقار اليه كما دخلت هذه في قوله لفارساً ونحوه .) [١٢٧] فهذه اللام الداخلة على المفعول به لا يجوز ان يقال انها لام الابتداء . وهي ليست اللام التي تدخل على الفعل في القسم نحو لَيفعلنّ اذ (لو كانت تلك للزم الفعل الذي تدخل عليه احدى النونين . فلما لم يلزم علم انها ليست اياه ، قال تعالى « إنْ كاد لَيضلنا» ، و «إن كانوا ليقولون» ، فلم تلزم النون) واما ما حكاه سيبويه من انه قد لا تلزم النون الفعل المستقبل وان كان الأكثر انها تلزم ، فلا يصح ان يحمل القرآن عليه لأن القرآن لا يحمل على القليل (فلا ينبغي ان تقول إن هذه اللام هي التي في لَيفعلنّ فتحمل الآي التي تلونا على الاقل في الكلام).

ويؤكد لك ان هذه اللام ليست تلك ان اللام التي في القسم لا تدخل على الاسماء، اذ هي مختصة (بالدخول على الفعل الماضي والمستقبل المقسم عليه ، أو ما يتصل بهما نحو إلى من قوله : « لإلى الله تحشرون »)[٢٨] فلما وجدنا هذه تدخل على الاسماء كقوله تعالى : « وان كنا عن عبادتكم لغافلين » دل على انها ليست تلك .

وقد نقل الفارسي رأي ابي الحسن الأخفش الصغير في وجوب كسر همزة إنْ

(٢٥) نفسه ص ٨٣
(٢٦) نفسه ص ٨٣ – ٨٤
(٢٧) نفسه ص ٨٧
(٢٨) نفسه ص ٨٤

مع هذه اللام وهو قوله : (ولا تكون في هذا الكلام إنْ مفتوحة ابداً ، إنْ وقعت على اسم او فعل لان اللام لازمة لهذا فلا تكون الا مكسورة) [٢٩] ثم قال : (فاما قول ابي الحسن في اللام : ولا تكون . . . ، فليست هذه اللام لام الابتداء التي اذا دخلت على خبر إنْ علق عنها الفعل للتقدير بها اول الكلام — لكن دخلت مع إنْ هذه لتفصل بينها وبين النافية ، وتخلّصها منها وتميّزها . واذا لم تكن اياها لم يمنع من فتح إنْ لان العلة الموجودة في لام الابتداء التي علق الفعل معدومة من هذه ، وهي ان التقدير بها وقوعها في الصدر) [٣٠] .

وهذا الذي ذكره الفارسي اشار اليه ابن عقيل على انه خلاف بين الرجلين حيث قال : (وتظهر فائدة هذا الخلاف في مسألة جرت بين ابي العافية ، وابن الأخضر وهي قوله صلى الله عليه وسلم : « قد علمنا إنْ كنت لمؤمنا » فمن جعلها لام الابتداء أوجب كسر همزة إنْ ومن جعلها لاماً اخرى اجتلبت للفرق فتح أنْ ، وجرى الخلاف في هذه المسألة قبلهما بين ابي الحسن علي بن سليمان البغدادي الأخفش الصغير وبين ابي علي الفارسي ، فقال الفارسي : هي لام غير لام الابتداء اجتلبت للفرق ، وبه قال ابن ابي العافية ، وقال الاخفش الصغير انما هي لام الابتداء أدخلت للفرق وبه قال ابن الأخضر)[٣١] .

والحق ان الفارسي لم يوجب الفتح وانما قال : (لم يمنع من فتح إنْ) والكلام منصب على إنْ بكسر الهمزة ومجيء اللام فارقة بين النافية والمؤكدة المخففة من الثقيلة ، وقد قال عنها : (ولو ادخلت شيئاً من الافعال المعلّقة على إن المكسورة المخففة من الثقيلة وقد نصبت بها واللام في خبرها لم تعلق الفعل قبلها من اجل اللام كما تعلقه مع لام الابتداء) [٣٢] ، وعلى هذا فينبغي أن يحمل كلامه في فتح همزه إنْ على الجواز لا الوجوب .

(٢٩) نفسه ص ٨٦
(٣٠) نفسه ص ٨٧
(٣١) شرح ابن عقيل ١ : ٣٨٠ — ٣٨١
(٣٢) البغداديات ص ٨٥

والذي اراه ان ما قاله الأخفش الصغير من لزوم الكسر اولى بالاتباع ، وذلك ان اللام اذا كانت لام الابتداء فلا مجال لفتح الهمزة معها ، واذا كانت لاماً اخرى اجتلبت للفرق فلا معنى لوجودها مع فتح همزة إنْ اذ هي حينئذ لا تلتبس بالنافية اذ النافية مكسورة الهمزة وهذه مفتوحتها فما معنى المجيء باللام الفارقة ، فوجودها دليل على وجود اللبس بالنافية ولا تلتبس بالنافية الا المكسورة فلا وجه اذن للقول بجواز الفتح مع وجود اللام والله أعلم .

واذ قد ثبت امتناع فتح الهمزة مع وجود اللام وان كانت لاما اخرى غير لام الابتداء سقط القول بوجود فائدة من الخلاف حول حقيقة اللام ، وتبقى بالمقدور المتفق عليه بين النحويين وهي لام فارقة بين النافية والمؤكدة ، ولا يعني بعد ذلك ان تكون هي لام الابتداء ، او لام اخرى اجتلبت للفرق ، على ان الاداة القائلة بانها لام اخرى أقوى ، ولكن لا يترتب على هذا الخلاف شيءٌ في اللغة بخلاف ما ذكره ابن عقيل .

الفعل بعدها :

ذكر النحويون أن (إنْ) المخففة من الثقيلة اذا دخلت على الجملة الفعلية لم يليها من الافعال الا الافعال الناسخة للابتداء ، وكأن هذا هو الاصل في مجيء هذا الحرف في لسان العرب ، الا أنهم على طريقتهم في ايراد كل ما وصل اليهم عن العرب زادوا على ذلك ان قرروا انه (يقل ان يليها غير الناسخ . . ومنه قول بعض العرب : إنْ يزينك لنفسك وان يشينك لهيه ، وقولهم : إنْ قنّعت كاتبك لسوطا ، وأجاز الاخفش إنْ قام لأنا ، ومنه قول الشاعر :

شلت يمينك إنْ قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد) [٣٣]

وهذا القليل الذي ورد عن العرب منع البصريون القياس عليه ووصفوه بالشذوذ[٣٤]

(٣٣) شرح ابن عقيل ١ : ٣٨٢

(٣٤) البحر المحيط ٣ : ١٠٥ .

ولم يأت الفعل بعدها في لغة القرآن الا ناسخاً ، غير أن السيوطي ذكر في الهمع [٣٥] ان ابن مسعود قرأ : إنْ لبثتم لقليلا ، فيكون هذا من القليل النادر قال : (وندر ايلاؤها غير الناسخ في قراءة ابن مسعود : إنْ لبثتم لقليلا) . وهذه الآية وردت في موضعين [٣٦] من كتاب الله تعالى في سورة الاسراء الآية ٥٢ قوله تعالى : « يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إنْ لبثتم الا قليلا) . وفي سورة المؤمنون الآية ١١٤ قوله تعالى : « قال إن لبثتم الا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون » وإنْ في الموضعين نافية وليست مخففة من الثقيلة كما هو واضح اذ لم تأت بعدها اللام الفارقة ولم أجد القراءة التي أشار السيوطي اليها فيما رجعت اليه من مظان في القراءات السبع او العشر أو الشواذ [٣٧] .

وعلى هذا نستطيع ان نقول باطمئنان انه لم يأت الفعل بعدها في لغة القرآن الا ناسخاً . قال الاستاذ عضيمة : (وليت الجملة الفعلية (إنْ) المخففة كثيراً في القرآن ، وكان الفعل ماضياً ناسخاً ، الا في موضعين فقد جاء مضارعاً ناسخاً [٣٨] فقد دخلت على كان في ستة عشر موضعاً [٣٩] وعلى كاد في خمسة مواضع وعلى

(٣٥) همع الهوامع ١ ؛ ١٤٢

(٣٦) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ط مطابع الشعب بمصر ١٣٧٨ هـ ص ٦٤٥ مادة (لبثتم)

(٣٧) لم اجدها في موضعها في السورتين في الحجة في القراءات السبع لابن خالويه تحقيق د . عبد العال سالم ط بيروت ١٩٧١ م والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جني تحقيق علي النجدي ناصف وصاحبيه ط القاهرة ١٣٨٦ هـ واملاء مامن به الرحمن للعكبري تحقيق ابراهيم عطوة ط ١٣٨٠ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ط مصطفى محمد بمصر وكذا في تقريب النشر لابن الجزري تحقيق ابراهيم عطوة ط الحلبي ١٣٨١ هـ وكذا في البحر المحيط لابي حيان وكذا في البيان في غريب اعراب القرآن لابن الانباري تحقيق د . طه عبد الحميد ط مصر ١٣٩٠ هـ وغير ذلك مما رجعت اليه من مظان .

(٣٨) دراسات لاسلوب القرآن الكريم الاستاذ محمد عبد الخالق عضيمة مطبعة السعادة بمصر ط ١ ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢ م ١ : ٥١٦

(٣٩) الاحصاء من الاستاذ عضيمة في دراسات لاسلوب القرآن الكريم ١ : ٥١٦ — ٥٢٠

وجد في موضع واحد ، ودخلت على المضارع الناسخ في موضعين . الاول على نظن والثاني على يكاد . قال الله تعالى :

١ — « فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إنْ كنّا عن عبادتكم لغافلين» ١٠ : ٢٩

٢ — « ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا » ١٧ : ١٠٨

٣ — « تالله إنْ كنا لفي ضلال مبين » ٢٦ : ٩٧

٤ — « وإنْ كانت لكبيرة ، الا على الذين هدى الله » ٢ : ١٤٣

٥ — « واذكروه كما هداكم وإنْ كنتم من قبله لمن الضالين » ٢ : ١٩٨

٦ — « وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » ٣ : ١٦٤

٧ — « وإن كنّا عن دراستهم لغافلين » ٦ : ١٥٦

٨ — « وان كنت من قبله لمن الغافلين » ١٢ : ٣

٩ — « قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين » ١٢ : ٩١

١٠— « ان في ذلك لآية . وان كان أصحاب الأيكة لظالمين) ١٥ : ٧٧ ، ٧٨

١١— « إن في ذلك لآيات وإن كنا لَمبتلين » ٢٣ : ٣٠

١٢— « وإن كانوا من قبل أن ينزّل عليهم من قبله لَمُبْلِسين »٣٠ : ٤٩

١٣— « وإن كانوا ليقولون . لو أن عندنا ذكراً من الأوّلين » ٣٧ : ١٦٧ ،١٦٨.

١٤— « ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » ٦٢ : ٢

١٥— « يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله وإنْ كنت لمن الساخرين »٣٩ :٥٦

١٦— « وإنْ كان مكرهم لِتَزولَ منه الجبال » ١٤ : ٤٦

١٧— « وإنْ كاد ليضلنا عن آلهتنا » ٥ : ٤٢

١٨— « واصبح فؤاد ام موسى فارغاً ، إن كادت لتبدي به » ٢٨ : ١٠

١٩— « تالله إن كدت لتردين » ٣٧ : ٥٦

٢٠— « وإن كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك » ١٧ : ٧٣

٢١— « ان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها » ١٧ : ٧٦

٢٢— « إن وجدنا اكثرهم لفاسقين » ٧ : ١٠٢

٢٣- « وما انت الا بشر مثلنا وإن نظنّك لَمن الكاذبين » ٢٦ : ١٨٦
٢٤- « وإن يكاد الذين كفروا لَيُزلقونَك بأبصارهم » ٦٨ : ٥١

ويلاحظ ان اللام التي جاءت مع (إنْ) في كل هذه المواضع كانت مفتوحة ، الا في موضع واحد حيث جاءت مكسورة على القراءة المشهورة وهو قوله تعالى : « وقد مكروا مكرَهم وعند الله مكرُهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال » ١٤ : ٤٦

وقد رأينا النحويين يختلفون في اللام الفارقة أهي لام الابتداء ام لام اخرى اجتابت للفرق كما تقدم ، الا اننا لم نرهم يختلفون في حركة هذه اللام . وقد نقل الاستاذ عضيمة وهو يورد هذه الآية الكريمة عن البحر قراءة عمر وعلي « وان كاد مكرهم لَتَزولُ » بفتح اللام الاولى ورفع الثانية ، وقراءة ابن عباس وإن كان بالنون ، وقول ابي حيان : (فعلى هاتين القراءتين تكون إن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة) [٤٠].

فإذا كانت قراءة فتح اللام الاولى وضم الثانية متفقة مع ما نعرفه من حركة اللام الفارقة : فان قراءة كسر اللام الاولى وفتح الثانية لاتوجه على هذا المعنى اذ قد يقال : هي : حينئذ لام التعليل التي اطلق عليها في مثل هذا الموضوع اسم لام الجحود او الجحد وإنْ نافية بمعنى (ما) ، ذلك أن (إنّ) المخففة من الثقيلة لا تأتي اللام معها مكسورة ، لأنها إن كانت لام الابتداء فقد نُصّ على انها (مفتوحة مع المظهر والمضمر)[٤١] وان كانت لاماً أخرى اجتلبت للفرق فهي مفتوحة أيضاً في الشواهد التي بين ايدينا جميعاً ولو جاءت مكسورة عن العرب لاستدل به القائلون بأنها لام اخرى بل لكان ذلك من أقوى أدلتهم على أنها غير لام الابتداء التي لا يجوز فيها الكسر فهل اللام ههنا لام الجمود وإن نافية ؟ .

(٤٠) نفسه ١ : ٥١٩
(٤١) سر الصناعة لابن جني تحقيق احمد رشيد سعيد رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة - في الازهر ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ج ٢ ص ٧٤
(٤٢) دراسات لاسلوب القرآن الكريم ٢ : ٤٥٧ - ٤٦٠

إن النافية واللام :

جاءت اللام مع الكون المنفي في القرآن الكريم في عشرين موضعاً [٤٢] وقد قال ابو حيان في النهر المادّ في تفسير قوله تعالى : « ما كان الله ليذر المؤمنين » : (واللام في ليذر المؤمنين لام الجحود وهي تأتي بعد كون ماض لفظاً أو معنى بحرف نفي وهو ما أو لم » [٤٦] وقد جاءت مع مضارع كان المجزوم بلم في ثلاثة مواضع احدها للمتكلم « لم أكنْ لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون» ١٥ : ٣٣

وموضعان بلفظ الغيبة في سورة واحدة : « لم يكن الله ليغفر لهم » ٤ : ١٣٧، ١٦٨ وفي سبعة عشر موضعاً جاءت مع كان المنفية بـ (ما) من ذلك قوله تعالى : « وما كان الله ليضيع ايمانكم » ٢ : ١٤٣ « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيّب » ٣ : ١٧٩ « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » ٣ : ١٧٩ .

اما (إن) النافية فقد دخلت على الفعل الماضي في ثمانية مواضع [٤٤] في القرآن الكريم ، قال تعالى :

١ــ « ولَيحلفنّ إنْ أردنا الا الحسنى » ٩ : ١٠٧

٢ــ « وتظنون إنْ لبثتم الا قليلا » ١٧ : ٥٢

٣ــ إنْ لبثتم الا عشرا » ٢٠ : ١٠٣

٤ــ « قال إنْ لبثتم الا قليلا » ٢٣ : ١١٤

٥ــ « ولئن زالتا إنْ أمسكهما من أحد من بعده » ٣٥ : ٤١

٦ــ « إنْ كانت الا صيحة واحدة فإذا هم خامدون » ٣٦ : ٢٩

٧ــ إن كانت الا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون » ٣٦ : ٥٣

٨ــ « ولقد مكّناهم فيما إنْ مكناكم فيه » ٤٦ : ٢٦

(٤٣) النهر المادّ بحاشية البحر المحيط ج ٣ ص ١٢٥

(٤٤) دراسات لاسلوب القرآن الكريم ١ : ٥٦٥

ويلاحظ انها جاءت وليس معها (إلاّ) في آيتين ، وجاءت مع كان في آيتين والمعنى حصر – ولا مجال لمجيء لام الجحود في أية آية من الآيات المذكورة . الا ان ذلك لا يمنع من القول بان إن النافية قد دخلت على كان في لغة القرآن في موضعين . ولاشك ان دخولها على كان يشكل الجزء الاول من اسلوب الجحد فإن جاءت اللام معها كان ذاك ، وإلاّ كان ايذاناً بامكانه .

يضاف الى هذه المواضع الثمانية اربعة تحتمل إن فيها معنى النفي والشرط . أو هكذا ذكر العلماء فيها [٤٤] وقال تعالى :

١– « فإنْ كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » ١٠ : ٩٤

٢– « قل إن كان للرحمن ولد فأنا اول العابدين » ٤٣ : ٨١

٣– « ولقد مكّنّاهم فيما إن مكّنّاكم فيه » ٤٦ : ٢٦

٤– « لو اردنا ان نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنّا إنْ كنّا فاعلين » ٢١ : ١٧

ويلاحظ ان الشرط ظاهر في الآية الاولى والثانية بحيث لايدع مجالاً للقول بالنفي الا بتكلّف ، وكذلك الامر في الآية الرابعة . وكأن الذين ذهبوا الى انها نافية انما ذهبوا الى المعنى المتحصل من كل آية بعد فهم معنى الشرط . كما تقول – ولله المثل الاعلى – إن جاءك زيد في موعده فلك عليّ ما تشاء . فالاسلوب هنا اسلوب شرط وان كنت تريد به في النهاية التأكيد على نفي مجيء زيد.ولكن لا يقال إنْ ههنا نافية . او ان تقول : إن كان ابليس صالحاً ففلان صالح . فهذا اسلوب شرط وإن كان المعنى المراد به النفي فكأنك قلت ليس ابليس صالحاً وليس فلان صالحاً .

اما الآية الثالثة فالنفي فيها أظهر وكنا اوردناها تحت النافية في رقم (٨) وقد استدل [٤٥] ابو حيان على معنى النفي فيها بان القرآن يدل عليه في مواضع قال :

(٤٥) نفسه ١ : ٥٦٥ وقد استدل بقول ابي حيان وابن هشام واشار الى موضع الاستدلال .

(وكونها نافية هو الوجه لان القرآن يدل عليه في مواضع كقوله تعالى « كانوا اكثر منكم وأشد قوة وآثاراً » وقوله « هم أحسن اثاثاً ورئيا » وكذلك فعل ابن هشام حيث قال : (ويؤيد الاول قوله تعالى . :

(مكناهم في الارض ما لم نمكّن لكم) .

وقد وردت (إنْ) قراءةً في آيتين فيهما أنْ مفتوحة وجعلت نافية

١— « سبحانه أنْ يكون له ولد» ٤ : ١٧١

٢— « ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ، قل إنّ الهدى هدى الله أنْ يؤتى أحد مثل ما أوتيتم » ٣ : ٧٣

والآية الأولى على تلك القراءة فيها إنْ داخلة على مضارع كان فالكون معها ليس ماضياً ، وفي الثانية لم تدخل على كون ماض او مضارع .

ومعنى ذلك انه ورد في القرآن الكريم آيتان فيهما إن نافية لكان وليس معها لام الجحود وليس الاسلوب جحداً بل اثبات وحصر ، وآية واحدة جاءت فيها إن النافية مهيئة للام الجحود هي قوله تعالى « وان كان مكرهم لِتزول منه الجبال » على ما ذهب اليه فريق من العلماء كما سيأتي.

واسلوب لام الجحد ابلغ في النفي من غيره فقولك (ما كان زيد ليقوم ابلغ من ما كان زيد يقوم ، لأن الاول نفي للتهيئة والارادة للقيام . وهو أبلغ من نفي الفعل لأن نفي الفعل لا يستلزم نفي ارادته) [٤٦] وقد ذكر الاستاذ عضيمة ان (أباغية اسلوب لام الجحود انما هي على مذهب البصريين ، اما على مذهب الكوفيين فاللام عندهم زائدة لتوكيد النفي) [٤٦] ولست ارى الانسياق وراء الخلاف الصناعي للمدرستين ولكني أقول انهما يلتقيان في آخر المطاف امام النص اللغوي ، فالقول بأن هذا الاسلوب ابلغ في النفي مبني على تأكيد معنى النفي الذي فيه . قال أحمد ابن فارس بعد أن أورد آيات فيها لام الجحود : (فهذه كلها لامات تعقب الجحد

(٤٦) نفسه ٢ : ٤٥٦

تأكيداً له وتحقيقاً) [٤٧] وقال الرضي : (فمعنى ما كنت لافعل : ما كنت مناسباً لفعله ولا يليق بي ذلك ، ولا شك في أنّ هذا معنى التأكيد) [٤٨] وقال في الموضع نفسه : (والتي لتأكيد النفي تختص من حيث الاستعمال بخبر كان المنفية اذا كانت ماضية لفظاً نحو « وما كان الله ليعذبهم » أو معنى نحو « لم يكن الله ليغفر لهم » وكأن هذه اللام في الاصل هي التي في نحو قولهم انت لهذه الخطة اي مناسب لها وهي تليق بك) .

وقد المح الرضي آنفاً الى أصل معنى هذه اللام ، ولكن قيود منطق النحويين جعلته يتحفظ بالتشبيه فيقول : وكأن هذه اللام . . . ، حتى لا تثور في وجهه مشكلات صناعة الاعراب ، فمن الواضح ان اللام في قولنا انت لهذا الامر لام التعليل (وهي التي يصلح موضعها من أجل كقوله تعالى « وانه لحب الخير لشديد » اي من اجل حب الخير)[٤٩] .

فقولنا : أنت لهذا الامر ، اي انت معد أو مهيّأ من أجل هذا الأمر ، ويكون قولنا : ما كنت لافعل هذا بمعنى لم يكن وجودي معداً او مهيئاً من اجل فعل هذا ، ولاشك ان هذا المعنى ابلغ في النفي وآكد من مجرد نفي الفعل . وعلى هذا نقول بناء على ما اورده الرضي الاستربادي ان اسلوب لام الجحد مبني على نفي الكون من اجل ما دخلت عليه اللام لارادة التأكيد والمبالغة في النفي ، ويكون قولنا : ما كنت لامنع زيداً حقه بمعنى قولنا : ما كان وجودي وكينونتي من أجل ان امنع زيداً حقه .

حركة اللام :

حركة هذه اللام الكسر قال ابن فارس في اللامات (باب لام تعقب الجحود

(٤٧) كتاب اللامات لاحمد بن فارس تحقيق شاكر الفحام نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٤ مجلد ٤٨ رمضان ١٣٩٣ هـ / تشرين الاول ١٩٧٣ م ص ٧٨١

(٤٨) شرح الكافية ٢ : ٢٢٧

(٤٩) دراسات لاسلوب القرآن الكريم ٢ : ٤٣٥

وهي مكسورة قال الله تعالى « لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا » [٥٠] وقد نقل في البحر عن ابي زيد ان من العرب من يفتح هذه اللام ووصف ذلك بانه لغة غير معروفة قال : (قال ابن عطية عن ابي زيد سمعت من العرب من يقول : « وما كان الله لَيعذبهم » بفتح اللام ، وهي لغة غير معروفة ولا مستعملة في القرآن) [٥١] وعقب ذلك بقوله : (وبفتح اللام في ليعذبهم قرأ ابو السمال) وقال في الموضع نفسه (وروى مجاهد عن ابي زيد ان من العرب من يفتح كل لام الا في نحو الحمد لله . انتهى . يعني لام الجر اذا دخلت على الظاهر او على ياء المتكلم) .

وقد كان ابن جني فصل هذا الامر واسند روايته حيث قال في سر الصناعة : (واعلم ان هذه اللام الجارة قد تفتح مع المظهر في بعض اللغات فيقال : المال لَزيد بفتح اللام . ونقلت من خط ابي بكر محمد بن السري ، وقرأته بعد ذلك على ابي علي عن ابي العباس قال : كان سعيد بن جبير رحمه الله تعالى يقرأ « وإن كان مكرهم لَتزول منه الجبال » فيفتح اللام . . وحكى ان الكسائي سمع من أبي حزام العكلي : ما كنت لَآتيك بفتح لام كي . . . وحدثني ابو علي قال : حكى ابو الحسن عن ابي عبيدة والاحمر ويونس انهم سمعوا العرب تفتح اللام الجارة مع المظهر ، قال : وقال ابو الحسن : وقد سمعته انا منهم ايضاً ، وقال ابو زيد : سمعت من يقول : « وما كان الله لَيعذبهم بفتح اللام . وهذا من الشذوذ بحيث لا يقاس عليه) .[٥٢] وذكر المرادي ان فتح هذه اللام لغة عكل وبلعنبر قال (ولغة عكل وبلعنبر فتحها مع الفعل قال ابو زيد سمعت من العرب من يقول : (وما كان الله لَيعذبهم بفتح اللام ، وقرأ سعيد بن جبير فيما حكى عنه المبرد « وان كان مكرهم لَتزولَ منه الجبال بفتح الاولى ونصب الثانية)[٥٣]

(٥٠) اللامات لابن فارس ص ٧٨٠
(٥١) البحر المحيط ٤ : ٤٨٩
(٥٢) سر الصناعة – الازهر – ج ٢ ص ١١ – ١٢ وانظر المحتسب ٢ : ٣١٤
(٥٣) الجنى الداني ص ٢٠٦ – ٢٠٧

وعلى كل حال تبقى كلمة ابن جني هي الفصل في هذا ونذكر بها على قرب العهد بها وذلك قوله : وهذا من الشذوذ بحيث لا يقاس عليه .

قوله تعالى : « وإن كان مكرهم لِتزول منه الجبال »

تناول المفسرون والنحويون هذه الآية بالبحث من ثلاثة وجوه : القراءات الواردة منها ، اعرابها ، معناها . فقد قرئ فيها بخمس قراءات :

الاولى : « وإن كان مكرهم لِتزول منه الجبال » بكسر اللام الاولى من لتزول وفتح الثانية . وعلى هذه القراءة اكثر القرّاء [٥٤] .

الثانية : « وان كان مكرهم لَتزولُ منه الجبال » بفتح اللام الاولى من لتزول وضم الثانية . وقد قرأ بها الكسائي . ولم أجدها تنسب لغيره ، قال الزجاجي : (واكثر القراء على كسر اللام الاولى ونصب الفعل الا الكسائي فإنه قرأ بفتح اللام ورفع الفعل [٥٥] . وقال مكي بن ابي طالب : (وقد قرأ الكسائي بفتح اللام الاولى وضم الثانية) [٥٦] وفي النشر : (اختلفوا في لتزول فقرأ الكسائي بفتح اللام الاولى ورفع الثانية وقرأ الباقون بكسر الاولى ونصب الثانية) [٥٧] .

الثالثة : « وان كان مكرهم لَتزولَ منه الجبال » بفتح اللام الاولى والثانية من لتزول ، قال ابن جني : (منهم من يفتح لام الجر مع الظاهر حكى ابو الحسن عن ابي عبيدة ان بعضهم قرأ : « وان كان مكرهم لَتزولَ منه الجبال » [٥٨] وفي موضع آخر نسب القراءة لسعيد بن جبير. [٥٩] ، وذكر المـــرادي [٦٠] ان المبرد حكى عن سعيد بن جبير انه قرأ « وان كان مكرهم لَتزولَ منه الجبال »

(٥٤) انظر مثلا اللامات للزجاجي ص ١٨٠ والنشر في القراءات العشر ٢ : ٣٠٠
(٥٥) اللامات للزجاجي ص ١٨٠
(٥٦) مشكل اعراب القرآن لمكي بن ابي طالب تحقيق حاتم الضامن – بغداد ١٩٧٥ م ج ١ ص ٤٠٧
(٥٧) النشر في القراءات العشر ٢ : ٣٠٠
(٥٨) المحتسب ٢ : ٣١٤
(٥٩) انظر سر الصناعة – الازهر – ٢ : ١١ ، ١٠٥
(٦٠) الجنى الداني ص ٢٠٧

بفتح اللام الاولى ونصب الثانية . وقال العكبري : (وقرئ شاذاً بفتح اللامين — يعني من لتزول — وذلك على لغة من فتح لام كي .) [٦١] ويرى ابن جني ان فتح لام كي جاء على الاصل قال : (. . كان سعيد بن جبير رحمه الله تعالى يقرأ : « وان كان مكرهم لَتزول منه الجبال » فيفتح اللام ويردها الى أصلها وذلك ان أصل اللام الجارة الفتح)[٦٢] وعلل تحولهم الى كسرها بانه كان للتفريق بينها وبين لام الابتداء .

الرابعة : « وان كاد مكرهم لَتزولُ من الجبال » بقراءة كاد في موضع كان ، وفتح اللام الاولى من لتزول وضم الثانية . ذكرها ابن جني في القراءات الشاذة قال : (ومن ذلك قراءة علي بن ابي طالب وعمر بن الخطاب وابن عباس وابن مسعود — واختلف عنه — وابي بن كعب وابي اسحاق السَبيعي : « وان كاد — بالدال — مكرهم لَتزولُ » بفتح اللام الاولى وضم الثانية) [٦٣] ، واوردها ابن خالويه « وان كاد مكرهم » ولم يتم الآية وذكر انه قرأ بها (علي رضي الله عنه وابن مسعود وابن عباس رحمهم الله) [٦٤] .

الخامسة : « وما كان مكرهم لتزول » بقراءة ما في موضع إن ، قال ابن خالويه : (وما كان مكرهم لتزول : ابن مسعود)[٦٤] قال الزمخشري : (وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى : « وما كان الله ليضيع ايمانكم » . . وتنصره قراءة « وما كان مكرهم » .)[٦٥] .

والقراءة الاولى هي التي عليها اكثر القراء حتى ان صاحب النشر بعد ان ذكر

---

(٦١) املاء ما من به الرحمن ٢ ؛ ٧١

(٦٢) سر الصناعة — الازهر — ٢ ؛ ١١

(٦٣) المحتسب ١ : ٣٦٥

(٦٤) القراءات الشاذة لابن خالويه عني بنشره برجستراسير ط المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤م ص ٦٩ .

(٦٥) الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري ط الحلبي بمصر ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م جـ ٢ ص ١٨٥

قراءة الكسائي قال : وقرأ الباقون . . وقد مر النص ، اذ لم يقرأ بخلافها سوى الكسائي [٦٦] ، اذا استثنينا القراءات الشاذة . وهي القراءة المشهورة المثبتة في رسم المصحف اليوم قال الله تعالى : « ومكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإنْ كان مكرهم لِتزولَ منه الجبال »

وقد اورد العلماء اكثر من توجيه في معنى الآية الكريمة بناء على ما تحتمله إن واللام . فقد اورد الزجاجي توجيهين في الآية ثم أسقط أحدهما قال : (قوله تعالى : « وان كان مكرهم لتزول منه الجبال » قرئ بكسر اللام ونصب الفعل على ان تكون إنْ على مذهب البصريين مخففة من الثقيلة . وتكون اللام بمعنى اكي وقال بعضهم : يجوز ان تكون (إن) نافية بمعنى (ما) التي تكون جحداً ، كأنه ما كان مكرهم لتزول منه الجبال ، وهذا جيد في المعنى الا أنه ضعيف في العربية لان اللام لا تدخل على إن اذا كانت نافية)[٦٧] ويقوي رأيه ما ذكرناه في هذا البحث في انه لم تأت إن نافية وبعدها اللام المكسورة التي للجحد في أية آية في كتاب الله تعالى : على ان ذلك غير قاطع في المنع . ويكون معنى الآية على الوجه الذي رضيه : إنّه كان مكرهم كي تزول منه الجبال . قال العكبري : (والثاني انها مخففة من الثقيلة ، والمعنى : انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال في الثبوت ، ومثل هذا المكر باطل) [٦٨] وقال البطليوسي : (وقد اجاز بعضهم في قراءة من كسر اللام ان تكون ايضاً مخففة من الثقيلة ، واللام في لتزول لام كي ، كأنه قال وانه كان مكرهم كي تزول منه الجبال) [٦٩] .

وهذا المعنى الذي رضيه الزجاجي ووافقه فيه العكبري والبطليوسي ، في النفس

(٦٦) انظر اللامات للزجاجي ص ١٨٠ والتيسير في القراءات السبع لابي عمرو الداني طبعة استانبول ١٩٣٠ م ص ١٣٥ والجنى الداني ص ٥٧

(٦٧) اللامات للزجاجي ص ١٧٩ .

(٦٨) املاء ما من به الرحمن ٢ : ٧٠

(٦٩) المسائل والاجوبة للبطليوسي نسخة الاستاذ خالد محسن مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية (التيمورية) المسألة ٧٢ ص ٣٢٢

منه شيٌ إذ لا يبدو متسقاً مع اول الآية والله أعلم ، ولا أقطع في هذا بأمر ، فالآية تخبر عن وقوع مكر من المشركين ، وهو مكر عند الله أمره أو علمه أو نفاذه ، فكيف يأتي تقرير كونه معداً لازالة الجبال بعد ذلك مؤكداً بإنّ . وهل يستقيم المعنى لو قلنا في غير القرآن : ومكروا مكرهم وعند الله مكرهم إن مكرهم كان معداً كي يزيل الجبال ؟ .

القراءة الثانية : « وان كان مكرهم لَتزولُ منه الجبال » وقد قرأ بها الكسائي كما تقدم وهي من القراءات العشر الموثّقة . قال البطليوسي في توجيه هذه القراءة : (واما من فتح اللام الاولى وضم الثانية وهي قراءة الكسائي ، فاللام عنده هي لام التأكيد وإن عنده مخففة من الثقيلة [٧٠] . وهذا الذي ذكره مبني على مذهب البصريين في إن واللام لا على مذهب الكسائي نفسه ، اذ الكسائي لا يرى إن هذه مخففة من الثقيلة . ولا يرى اللام مؤكدة ، بل هي عنده نافية بمعنى ما واللام بمعنى إلا وقد مر ذكر رأيه في هذا ، ويكون المعنى على هذا : انهم مكروا مكراً عند الله امره وانه كان مكرهم تزول منه الجبال ، وفيه بيان لشدة مكرهم .

القراءة الثالثة : وان كان مكرهم لَتزولَ ، وهي من القراءات الشاذة كما تقدم وقد ذكر العلماء ان اللام الاولى فتحت على لغة من يفتح لام الجر مع الظاهر ، ومعنى ذلك ان حكمها من حيث الاعراب والمعنى حكم قراءة لِتزولَ بكسر اللام الاولى وفتح الثانية ، وقد تقدم .

القراءة الرابعة : وإن كاد مكرهم لَتزولُ ، حيث جاءت كاد مكان كان وفتحت اللام الاولى من لتزول وضمت الثانية ، وهي قراءة شاذة ايضاً كما تقدم والقول فيها كالقول في توجيهالقراءة الثانية الا بمقدار ما بين كاد وكان من فرق في المقاربة أو التقرير .

القراءة الخامسة : وما كان مكرهم لتزول منه الجبال وهي من القراءات الشاذة

(٧٠) نفسه ص ٣٢١ – ٣٢٢

ايضاً فقد اوردها ابن خالويه في شواذ القراءات ونسبها الى ابن مسعود كما تقدم ، والقول فيها كالقول في القراءة الاولى بأحد التوجيهين المذكورين .

هل تكون إن شرطية في الآية :

وجدت ابن هشام والبطليوسي ذكرا توجيهاً في القراءة المشهورة المتداولة التي عليها اكثر القراء وهي : « وان كان مكرهم لِتزولَ منه الجبال » ارتاحت له نفسي ورضيته ، اما البطليوسي فقد ذكره وهو يفسر معنى قراءة الكسائي حيث قال : (واما القراءة الثانية فمعناها انهم لا ينتفعون بمكرهم وإن كان مكرهم تكاد تزول منه الجبال لعظمه ، وان كانت الجبال لا زوال لها [٧١] . وواضح ان عبارة التفسير فيها إنْ شرطية .

واما ابن هشام فقد عرض آراء العلماء فيها وخلص الى انها شرطية وليست نافية او مخففة من الثقيلة قال : (وزعم كثير من الناس في قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال في قراءة غير الكسائي بكسر اللام الاولى وفتح الثانية انها لام الجحود وفيه نظر : لأن النافي على هذا غير ما ولم ، ولاختلاف فاعلي كان وتزول ، والذي يظهر لي انها لام كي وأنّ إنْ شرطية ، أي وعند الله جزاء مكرهم وهو مكر أعظم منه وإن كان مكرهم لشدته معداً لأجل زوال الامور العظام المشبهة في عظمها بالجبال . كما تقول : أنا أشجع من فلان وان كان معداً للنوازل .)[٧٢] والله سبحانه وتعالى أعلم ونرجو ان يكون ما اخترناه في هذا من كلام السلف الصالح رحمهم الله هو الصواب والحمد لله في الاولى والآخرة .

---

(٧١) نفسه .

(٧٢) مغني اللبيب ١ : ١٧٧